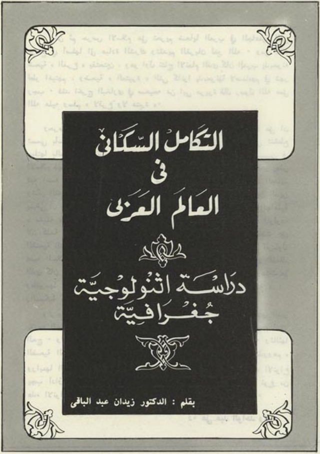

التكامل السكاني
في
العالم العربي

دراسة اثنولوجية
جغرافية

بقلم : الدكتور زيدان عبد الباقي

تمهيد

يشغل الوطن العربى قلب العالم القديم ، وهو في نفس الوقت صلة الوصل بين العالم القديم والعالم الحديث ، ويقع فيما بين المنطقة المعتدلة والمنطقة المدارية ۰ وتمتد حوالى خمسة الاف كيلو متر من الخليج العربى والعراق شرقا الى المغرب وموريتانيا غربا۰ ويبلغ أقصى طوله من الجنوب الى الشمال حوالى ثلاثة الاف كيلو متر ، وهو طول مجرى نهر النيل من حدود السودان الجنوبية الى مصبه في البحر الابيض ۰ وتقدر هذه المساحة بحوالى ١٢/٢ مليون كيلو متر مربع ۰ وبذلك تربو مساحة الوطن العربى على مساحة القارة الاوربية ۰

هذا وقد بلغ عدد السكان في العالم العربى سنة ١٩٧٧ نحو ١٨٨/٧٦٧/١٤٣ نسمة ، يعيش أقل من ثلثهم ، أى ٨٨٨/٦٥٠/٤٥ في قارة آسيا ، ويعيش الثلثان الباقيان ، أى ٣٠٠/١١٦/٩٨ في قارة افريقيا ۰ ولذلك تعتبر افريقيا بمثابة الارض العربية الرئيسية من حيث المساحة وعدد السكان ، على حين أن اكبر دولة عربية من المساحة وعدد السكان على حين أن اكبر دولة عربية من حيث المساحة هى السودان واكبر دولة عربية من حيث السكان هى مصر ۰

الاصل السلالى للسكان العرب

يزعم الانثربولوجيون ــ استنادا الى دارون ــ أن أجداد البشريةومن بينهم السكان العرب من القردة ۰ ويرددون أن الانسان دائم المغالات في تقدير ذاته ، وان كثيرا من الاراء التى نرفضها في حياتنا اليومية ، نرفضها بدوافع من هذا النوع ۰

ولكننا نرى ان الانسان لم يتحدد من اى نوع من انواع القردة العليا التى مازالت باقية حتى الان ۰ فهذه القردة ليست بالقطع اجدادنا

---

١ ــ الاستاذ الدكتور مصطفى الخشاب : دروس في مقومات المجتمع العربى ونظمه ۰ مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦٢ صفحة ٨٦ ۰

البعيدة ، ولعلها من ابناء عمومتنا . وعلى ذلك فان زعم الانثربولوجيين بان اجدادنا كانوا قردة تتراقص فوق فروع الاشجار على اربع لايستند الى اساس . وانما الكلام الذى يستند الى اقدم مرجع علمى وهو القرآن الكريم يؤكد أن الانسانية تعود الى اصل واحد ، تعود الى انسان عاقل ، كان هو الجد الاول للبشرية . ومن ثم فأصل البشرية كما يقول القرآن الكريم « رجل وامرأة »خلقهما الله من نفس واحدة لقوله تعالى : يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام، ان الله كان عليكم رقيقا » (الاية الاولى من سورة النسام) وترتيبا على ذلك فان البشرية كلها من سلالة آدم وحواء .

والذى يؤكد وجهة النظر هذه أنه منذ اكثر من مليون سنة لم يتحول قرد واحد الى انسان . وأتصور أن ذلك لن يحدث . غير أن الذى يذهل بالفعل هو هذه الثقة الشديدة التى يتحدث بها الانثربولوجيون عن أحقاب زمنية بعيدة ، ويأتوننا بصور لادميين لهم ذيول ويسيرون على اربع ، وهى كلها صور من وحى الخيال . انها ولا شك جراءة بالغة منهم ان يتكلموا بهذا اليقين عن عصور سحيقة ، غاية في البعد ، بينما لا يتوافر في ايديهم القرائن والادلة التى تؤكد آراءهم . ان الامر كله لا يخلوا من ان يكون مجموعة من الاستنتاجات التى قد تكون خطأ ـ وهذا هو الاقرب الى الواقع ـ وربما تكون صوابا ، وهذا مانستبعده . ان الانسان لم يكن قد اكتشف الكتابة ، ومن ثم فكل هذه التفصيلات الدقيقة عن حياة الانسان القرد لاتعدو أن تكون مجرد أوهام

حقيقة ان اجدادنا الاوائل عاشوا بين الاشجار . واذا كان اسلاف القردة العليا يعيشون حتى الان بين الاشجار ... فقد اخذ اسلافنا من الجنس البشرى يعيشون فوق الارض . ومن المرجح أنه لم تكن صورتهم على نفس الصورة الحالية . ويمكن ـ بحكم الجواز أن بعض الاجداد من البشر كانوا يسيرون على أربع . وقد يكون لبعضهم ـ ذيل ـ يختلف عن مثله لدى أبناء عمومتنا من القردة العليا . بينما ظلت القردة تستخدم ذيلها في التأرجح بين أغصان الاشجار ، وبذلك استمر قائما . على حد استخدام الاسلاف ذراعهم فى ذلك ، ومن ثم تلاشى الذيل ـ اذا وافقنا جدلا ـ بأنه كان موجودا ، وان كنا نشك في ذلك . وبذلك حدثت تغيرات

هامة كانت هى الاساس للتطور الكبير الذى حدث في جسم الانسان · وبهذا أصبحت قامته أقصر من ذى قبل ، واكثر اكتنازا ، وأخذت عضلات البطن تقوى حتى تحوى الاحشاء ثابتة في مكانها · أما الحوض فقد أصبح اعمق مما كان واكثر استدارة حتى يستطيع استيعاب وحمل الاحشاء · ونتيجة لذلك لانت مفاصل الكتفين بحيث أمكن تحريك الذراعين بشكل ميسور في دائرة تكاد تكون كاملة ·وعندما انتصبت ـ بفعل ذلك كله ـ قامة الانسان ، لم يعد في حاجة الى أن يستخدم قدميه الاماميتين في السير · وهكذا عرفت « الذراعان » مهمة أخرى ، واستطالت أصابعها ، وفي كل يد ابتعدت احدى الاصابع عن الاخرى لتصبح ابهاما ·

غير أن الانثربولوجيين ، عثروا على بقايا كثيرة ترجع الى أب البشرية ـ الانسان الاول كما يقولون ـ في مناطق متفرقة من العالم، في نياندرتال، بالقرب من دوسلدروف في المانيا ، وفي بكين ، وفي جاوه ، وفي وادى النيل بمنطقة كوم امبو الى الشمال من اسوان ·· عثروا هنا وهناك على بقايا هياكم عظمية قديمة وجماجم تبين من دراستهم لها، أنه كان لهذا الانسان جسم يماثل جسمنا الحالى باستثاء الرأس الذى كان يماثل رؤس القردة من وجهة نظرهم · وهو ليس كذلك في الواقع ، لانه لم تكن له الانياب الكبيرة التى نراها في القردة العليا الحالية · وانما كانت أسنانه تشبه اسناننا الحالية ، الامر الذى يؤكد أن هؤلاء الاجداد كانوا يأكلون نفس الاطعمة التى نأكلها حاليا ، مثل اللحوم والخضروات والنشويات ، وان كانت نيئة مما يؤكد عدم التشابه بين الانسان والقردة العليا· وبالاضافة الى ذلك فقد كان مخ الانسان الاول اكبر نسبيا من مخ القردة العليا ، بصرف النظر عن تراجع جبهة الانسان الاول الى الخلف قليلا ·

هذا ويحدد بعض العلماء أجناس هذه البشرية بثلاثة أجناس رئيسية هى :

١ ـ الجنس الزنجى .

٢ ـ الجنس القوقازى ويتكون من ثلاث سلالات هى : الآرية والسامية ، والحامية ·

٣ ـ الجنس المغولى ·

ولقد تعارف العلماء على أن الجنس المغولى بمميزاته التشريحية المعروفة ، ظهر في أقصى الشرق ، حيث لاتزال مجموعات من أحفاده تعيش حتى الآن في شرق آسيا واليابان ··· أما الجنس القوقازى فقد كان يعيش فى المناطق الشمالية من آسيا ، وبالذات السلالة الارية من هذا الجنس ، تلك التى تجمعت حول بحر قزوين ، وفي السهول الممتدة جنوبا فى شرق هذا البحر وغربه ·وفيما يتعلق بالسلالة السامية من هذا الجنس، فقد كانت تعيش في مناطق جنوبى غربى آسيا وشبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب ، ثم تبقى السلالة الحامية ، وكانت تعيش فى الجزء الشمالى الممتد من البحر الاحمر شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ·

وثمة نظرية تقول ان الجنس الزنجى نشأ في مناطق جنوبى شبه الجزيرة العربية ، وهى المناطق المطلة على المحيط الهندى ··· وفي عصور غارقة فى القدم طغت أمواج المحيط على هذه المنطقة ، فهب اصحابها مهاجرين ··· جماعات منهم نحو الشرق، وجماعات نحو الغرب ، وجماعات أخرى سارت شمالا مع نهر النيل حيث استقرت في منطقة الخرطوم ، وظهر بعض منها في مصر في عصور تؤرخ بحوالى القرن التاسع عشر أو العشرين قبل الميلاد ·

واذا لم يكن هناك مايميز الانسان الاول الذى تم العثور عَلى جماجمه في كوم أمبو عن الانسان الاول الذى ظهر في مناطق متفرقة من العالم ، فمتى على وجه التحديد أصبح ممكنا ان نتكلم عن جماعة بشرية عاشت في المنطقة العربية ، واطلق عليها اسم العرب ؟ أو بالاحرى متى كنا في هذا المكان ؟ ·

من المرجح أنه خلال العصر الحجرى القديم لم تكن هناك جماعة بشرية تستطيع أن نطلق عليها اسم العرب ، حيث لم يكن الانسان قد عرف بعد معنى الاستقرار في مكان معين ، أو ما يسمى بمرحلة الجمع والالتقاط ، حيث كانت بعض جماعات الانسان الاول الدائمة التجول وراء الصيد، كانت تهيم على وجهها في كل مناطق الجزيرة العربية والشمال الافريقى ·

المهاد الاولى للسكان العرب :

ونتيجة للجفاف الذى ساد هذه المنطقة في الالف السادسة قبل الميلاد،

هاجر الانسان والحيوان الى وديان الانهار ليجد الماء والعشب ٠ وكانت تلك الهجرات من الاحداث البشرية الضخمة ، بحيث يطلق على تلك الفترة (عصر الهجرات الاولى) فقد هاجرت من قلب الجزيرة العربية أفواج من البشر (جماعات سامية) هربا من الجفاف يشدها — الى الشمال — مناطق الهلال الخصيب ٠٠٠ ومن هذه الموجات الكثيفة عبرت جماعات بشرية سامية برزخ السويس الى افريقيا ٠٠٠ الى وادى النيل ، كما اتجهت الجماعات البشرية الحامية التى كانت تعيش فى مناطق شمال افريقيا هى الاخرى الى دلتا النيل ، وهى من جنس البحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى جماعات أخرى حامية جنوبية كانت تعيش في مناطق افريقيا الوسطى وهاجرت الى الشمال يشدها نهر النيل (١) ٠

هذا من رأى المستشرق الايطالى «كيتانى» وغيره من العلماء ان سكان الجزيرة العربية من أصل سام ، بل هم الساميون وحدهم ، وأن اول تواجد لهم كان في جزيرة العرب ٠ وأنهم جنس من أصل واحد تتشابه لغاته ٠ وأن اللغة العربية هى أقرب اللغات السامية الى الاصل الذى تنتمى اليه ، وأنهم أتوا بحضارات أصلية ، وقد استنتج «كيتانى» على اساس أن مناخ الجزيرة العربية — في العصور الجيولوجية القديمة — كان رطبا مع قليل من الدفء ، وان مياه الجزيرة العربية كانت غزيرة

رطبا مع قليل من الدفاء ، وان مياه الجزيرة العربية كانت غزيرة ،

المناخ الى الحرارة مع زيادة الجفاف اجدبت الارض ٠ وبدأ عدد السكان يتناقص نتيجة لهجرة البعض الى اطراف الجزيرة العربية وراء العشب والماء والارض الخصبة ومنذ ذلك الحين بدأت الموجات السامية من المهاجرين تغزى بالسكان اطراف الجزيرة مثل منطقة الرافدين فى العراق ، وانهار منطقة الشام ، وكذلك حوض نهر النيل ، حيث ازدهرت حضارات ومدنيات كانت ذات شأن عظيم ٠

غير أنه لكثير من العلماء آراء تصل الى حد التناقض حول المهاد الاولى لسكان الجزيرة العربية ، فمن قائل :

---

١ — دكتور زيدان عبد الباقى : أسس علم السكان٠مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٨ ص ٢١٢

ا ـ ان مهدهم كان في العراق وهو ما ذهبت اليه التوراة ، وان أقدم فئاتهم كان الاكاديون ، البابليون ، الآشوريون ، والكلدانيون ، ومن العراق توجه العرب الى الجزيرة العربية · وصار الاحباش في بلاد الحبشة ·

ب ـ ان مهدهم كان الحبشة (اثيوبيا)ومنها عبروا البحر الاحمر الى الجزيرة العربية عن طريق باب المندب ، ومن الجزيرة العربية تفرق بعضهم الى منطقة الهلال الخصيب ، حيث قال بذلك «ملكريف» (١) استنادا الى رأى «برنتون» حول وجود تشابه في الملامح ، وفي الخصائص السلالية، فضلا عن اللغوية بين الاحباش والبربر والعرب ··· حتى أنه زعم أن جبال الاطلس هى الموطن الاصلى للساميين (٢) ، كما استخلص فريق من العلماء وجود نوع من الصلات اللغوية والعلاقات الاثنولوجية التى تلاحظ على سكان تلك المنطقة ، وقرروا ـ بناء على ذلك ـ أن الموطن الاصلى للساميين هو شرق افريقيا ، وان اختلفوا في نوعية الطرق التى سلكوها في عبورهم الى اسيا ، حيث ذهب البعض الى أن سيناء كانت المنفذ الرئيسى (٣» · وقرر البعض أن باب المندب كان الطريق المؤدى الى اليمن السعيد ، ومنه الى شبه الجزيرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب · غير أنه طبقا لاتجاهات الهجرة يستحيل على المهاجرين ترك طريق وادى النيل بخصوبة اراضيه وما يحمله النهر من ماء عذب وغرين يساعد على ازدهار الزراعة ، ويتجهون في هجرتهم الى الجزيرة العربية بصحاريها وفيافيها وقفارها· ولهذا فان هذا الرأى من وجهة نظرنا ليست له اسانيد يقينية·

جـ ـ ان مهدهم كان فى المنطقة الواقعة جنوب نهر الفرات ، ومنها انتشروا في الجزيرة العربية وفي الهلال الخصيب ووادى النيل ·

د ـ أن مهدهم كان فى بادية الشام حتى بلاد نجد فى شمال الجزيرة العربية ، ومنها تفرقوا في مختلف الاصقاع ·

---

1 - Brasted .I. : The Origins of Civisation . Reprínted by the Scientific monthy . Nov ., 1919 .

2 - Brinton , A. : Cardle if Semites .

٣ ـ الدكتور احمد فخرى : اليمن ، ماضيها وحاضرها · صفحة ١٦

هـ ـ ان مهدهم كان جزيرة العرب، ومنها اتجهوا الى العراق وسوريا، حيث اسسوا دولا شهيرة هناك، كما اتجه البعض الى مصر عن طريق سيناء والى الحبشة والسودان وصعيد مصر عن طريق باب المندب. وقد اشار البعض الى أن ارتقاء الحضارة الفرعونية وازدهارها يرجع الى أول هجرة جماعية من القبائل التى قدمتها شبه الجزيرة العربية . وهى شقيقة للهجرات التى انشأت الحضارة الاشورية والبابلية ويشير بعض الاثريين الى ان بدو الجزيرة العربية قد دخلوا الى مصر عن طريق الصحراء الشرقية، ووصلوا الى النيل عن طريق الدرب الموصل بين القصير والنيل . وقد بقيت لهذا الدرب مكانة خاصة فى جميع العصور على امتداد التاريخ المصرى القديم. وكان هذا الدرب يشتهر باسم « طريق الآلهة » اشارة الى مجيء بعض اسلافهم وبعضهم الهتهم عن هذا الطريق . ويضيف الى ذلك قوله بأنه ما من شك فى أن صلة مصر بالشعوب السامية (ومنها الشعب العربى) فى عصر ما قبل التاريخ ، قد تركت آثارها فى اللغة المصرية القديمة ، سواء فى مفرداتها أو فى اجروميتها . (١)

والرأى الاخير يلقى اجماع غالبية العلماء والباحثين ، لا سيما وأن العرب خرجوا من جزيرتهم فى صدر الاسلام ـ بنفس الاسلوب تقريبا ـ فى موجات متتابعة الى قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ، الامر الذى يؤكد ذلك الرأى .

الاصول السلالية للسكان العرب :

يقسم الانثربولوجيون سكان العالم الى ثلاث مجموعات جنسية كبرى على النحو التالى :

١ ـ مجموعة الاجناس القوقازية : Homo Caucasicus

وتتكون هذه المجموعة من أربعة اجناس هى :

ـ أ ـ الجنس النردى ـ ب ـ الجنس الالبى

---

١ ـ للدكتور ابراهيم رزقانة : الانثربولوجيا . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ صفحات ٧١ ـ ٧٥

ـ ج ـ جنس بحر أبيض متوسط   ـ د ـ جنس الهندوس

٢ ـ مجموعة الاجناس المغولية : Homo Mongolicus

وتنقسم مجموعة الاجناس المغولية الى ثلاثة شعب هى :

ـ أ ـ المغول الاصليون بشرق آسيا ..

ـ ب مغول الملايو بجزر الهند الشرقية .

ـ ج ـ الهنود الحمر بأمريكا .

مجموعة الاجناس الزنجية : Homo Aethiopicus

وتضم مجموعة الاجناس الزنجية شعبتين رئيسيتين هما :

ـ أ ـ الزنوج من أفريقيا وبابوا (غانا الجديدة) وميلانيزيا .

ـ ب ـ الاقزام .

فالى اى من هذه الاجناس ترجع الاصول السلالية للسكان العرب ؟

ينتمى السكان العرب فى جزء كبير منهم الى جنس البحر الابيض المتوسط الذى يعيش طبقا لرأى الانثرنولوجيين حول البحر الابيض المتوسط فى أوروبا وآسيا وافريقيا . فقد كان يسود كل تلك الجهات الساحلية ويسيطر عليها . ومن صفاته العامة الشعر المموج والبشرة التى تتراوح بين البياض والسمرة . أما الرأس ففيها الطويل والمتوسط والعريض ، والفك غير بارزة Orthognathous وعظام الخدين غير بارزة والانف ضيقة والعين مستقيمة والاسنان صغيرة ، والقامة تتراوح بين المتوسط وفوق المتوسط (١)

على حين ان المؤرخين أمثال الطبرى والمسعودى وابن خلدون يذهبون الى أن « نوحا » قد انجب ثلاثة أولاد وهم « سام ، وحام ، وياقث » وأن « سام » هو أب العرب و « ياقث » أب الروم . و « حام » أب الحبش

١ـ المرجع السابق

والزنوج · وفى أقوال أخرى ان سام اب العرب والفرس والروم وأن يافث أب الترك والصقالبة · وأن حام أب القبط والسودان والبربر (٢)·

ومعنى ذلك أن العرب ينتمون – فى الغالب – الى سلالة « سام » غير أن صفة « العرب » كان تطلق على سكان الجزيرة العربية · والوطن العربى فى الوقت الحالى ، بالاضافة – الى الجزيرة العربية – يشمل شمال وشرق افريقيا ، ومنطقة الهلال الخصيب والشام · وطبقا لرأى ابن خلدون ، فانه يمكننا القول ان الوطن العربى يشمل سلالة سام فى الجزيرة العربية وسلالة « يافث » على الشاطىء الجنوبى والشرقى للبحر الابيض المتوسط ، وسلالة « حام » فى السودان والصومال وموريتانيا ·

هذا وفى أواخر القرن الثامن عشر ، أوضح علماء اللغات والاجناس البشرية وعلى راسهم العالم النمسوى (شلوزر) Schlozer أن العرب القدماء ينتمون الى ما يعرف بالجنس السامى Semetic race واستندوا فى ذلك الى ما لوحظ من أوجه الشبه بين اللغات البابلية والاشورية والفينيقية والكنعانية والارامية والعربية والحبشية والقبطية ، ولغات أخرى سادت فى منطقة الشرق الادنى فى العصور القديمة · وخرجوا من هذا التشابه اللغوى الذى يدل فى كثير من مظاهره على تشابه التفكير والعقلية الى أن الشعوب التى كانت تتحدث بهذه اللغات ترجع الى أصل واحد ، واطلقوا عليه اسم « الاصل السامى » نسبة الى سام بن نوح الذى ورد اسمه فى (سفر التكوين ، الاصحاح العاشر) ·

وعلى ذلك فان الاصول السلالية للسكان العرب ترجع الى مصدرين :

١ – **العرب البائدة** : وهم الذين عاشوا وبادوا قبل الاسلام ، ولم يبق من آثارهم من شىء ، سوى ما جاء فى القرآن الكريم وفى الاخبار العربية عنهم · ومن أهم قبائل عادو ثمود وطسم وجديس الاولى ·

٢ – العرب الباقية وهم قسمان :

(ا) العرب العاربة : أى العرب الخلص ، وهم القحطانيون من سكان اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية · والقحطانيون ينسبون الى قحطان بن عامر الذى ورد ذكره فى التواة · وهو من نسل نوح · ويقال انه كان له

٢– مقدمة ابن خلدون والجزء الاول من تاريخه ·

ولد يدعى « يعرب » وان يعربا هذا هو أول من اتخذ اللغة العربية لسانا ومن هنا أطلق بعض العلماء على القحطانيين اسم «**العرب العاربة**» ·

(العرب المستعربة) : أى الذين تناسلوا من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل الذى اسكنه والده مع امه بواد غير ذى زرع عند بيت الله الحرام فى منطقة الحجاز ، ثم تزوج من قبيلة « جرهم » القحطانية وعاش بمكة وتعلم اللغة العربية منهم ، ونقلها الى ذريته · ومن ذريته عدنان جد العرب المستعربة ، واليه ينتهى نسب رسول الله عليه الصلاة والسلام ·

هذا وقد تكاثر العدنانيون وانتشروا فى الجزيرة العربية ، وسكنوا مختلف أقطارها بمختلف قبائلهم وبطونهم وأفخاذهم · وعلاوة على ذلك يفرق المؤرخون بين عرب الجزيرة العربية ، فيقسمونهم الى قسمين آخرين أيضا هما :

١ ـ **عرب الشمال** : الذين استوطنوا الحجاز ونجد وأواسط بلاد العرب ، وهم من الاعراب ، وكانت منازلهم من الخيام المصنوعة من أوبار الانعام · وكانوا ولا زالوا يتكلمون اللغة العربية ، وهى لغة القرآن الكريم ·

٢ ـ **عرب الجنوب** : وهم الذين استوطنوا اليمن وحضرموت ، وكانت لغتهم هى السبأية أو الحميرية ، وهى لغة عربية ايضا لاتزال بعض نصوصها باقية بالخط المسند ، وكانت هذه اللغة تختلف من حيث القواعد والبناء مع اللغات العربية الاخرى السائدة فى الشمال · وكانت كلتاهما فى نفس الوقت تصارع الاخرى ، من اجل الحصول على زعامة الحركة الفكرية فى شبة الجزيرة العربية ، من خلال الاعياد القومية المشتركة ، التى كانت تقام فى شكل « اسواق » يشترك فيها القحطانيون والعدنانيون·

وفى النهاية انتصرت اللغة العربية الشمالية ، نتيجة انهيار سد مأرب فى اليمن وانتقال زمام التجارة الى الشمال ، وهجرة غالبية سكان الجنوب الى الشمال ايضا · (١) ·

---

١ ـ دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية والمجتمع العربى· مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ صفحة ١٩٣ ·

ويلاحظ أن هذا التقسيم للسكان لا يختلف عن التقسيم السابق لسكان الجزيرة العربية ، من حيث كونهم عدنانيين وقحطانيين ·

هذا وكان لعرب الجزيرة علاقات تجارية مع المصريين لحاجتهم الى البخور واللبان وغيرهما من منتجات الجزيرة العربية ، مما يستخدم فى تعطير المعابد وفى تحنيط الموتى وذلك قبل الاسلام · وكذلك كانت الاقطار الافريقية ، كما كانت لهم حروب مع الاشوريين الذين رغبوا فى اخضاع العرب لسيطرتهم ·

ويبدو أن سكان الجزيرة العربية قد تكاثروا بشكل ملحوظ ، أو أن الجفاف الذى ساد هناك جعل بعض العرب يهاجرون الى مناطق الجنوب والغرب والشرق والشمال · ومن اشهر هذه الهجرات خمس موجات هى :

(١) الموجة الاولى من المهاجرين العرب :

حيث كانت هجرة البابليين الى العراق سنة ٣٥٠٠ ق·م · ، واستيطانهم لمنطقة حوض الفرات · وقد هاجر بعضها فى عهد الاسرات الفرعونية الست الاولى الى وادى النيل ، واختلطوا بالسكان الاصليين الذين كانوا يتشكلون من جنس البحر الابيض المتوسط ومن الجنس الافريقى ، وامتزجوا شيئا فشيئا · وبالتالى لا بد وانهم انجبوا سلالة مهجنة ، تلك التى قادت موكب الحضارة فى عصر الاسرات الست الاولى ·

وهذه الهجرات القادمة من شبه الجزيرة العربية ، حيث تكاد تجمع الكتابات العربية ، على أن مرجع تلك الهجرات وانتشارها شمالا فى بلاد الشام وفلسطين ، ومنها هاجر البعض الى وادى النيل ·

(ب) الموجة الثانية من المهاجرين العرب :

وكانت سنة ٢٥٠٠ ق·م وكانت تتالف من الفينيقيين والكنعانيين الذين استقروا فى بلاد الشام وفلسطين ومنها هاجر البعض الى وادى النيل ·

(ج) الموجة الثالثة من المهاجرين العرب :

وكانت سنة ١٥٠٠ ق٠م٠ ، حيث وقعت هجرة العبرانيين من أرض الفرات الى أرض كنعان فى فلسطين وهم من سلالة الموجة الاولى من المهاجرين ٠

(د) الموجة الرابعة من المهاجرين :

وكانت سنة ٥٠٠ ق٠م٠ وكانت تتالف من الانباط الذين أسسوا دولة لهم فى الشام ٠

(ه) الموجة الخامسة من المهاجرين العرب :

وهى اعظمها جميعا ، وكانت فى أوائل القرن الاول الهجرى ، أى في أوائل القرن السابع الميلادى ، حيث خرج العرب حاملين لواء الاسلام ورسالته الى آسيا وأفريقيا وأوروبا ٠

والقبائل التى هاجرت من اليمن الى مصر هى قبائل « قضاعة الحميرية » وبعض بطونها نزلت سينا وسارت الى الفرما ، الى الشرق من الحدود المصرية الاسيوية ، وهى بطون : تنوح ، سليم ، بلى (١) ٠ ومن القبائل الكهلانية أيضا قبائل ق طىء ، بنوه مرة ٠٠٠ والبطون التى تفرعت عن طىء وهى : جزام ، لخم ٠٠٠ وكانت منازل جزام ولخم حول العقبة ٠ ومن قبائل كهلان ، بطون آل ربيعة وسنبس والثمالية وبنو صخر ٠

ويقال أن كثيرا من أفراد قبائل طلحة ، جعفر ، جهينة ، لخم ،جذام شيبان ، طىء ، ومخزوم وغيرهم نزلوا الى مصر وامتزجوا بمن فيها من السكان وتسربت دماء المصريين اليهم واختلطوا بعناصرهم ، ولا سيما وأن مصر منذ بداية التاريخ تتلقى امواجا من الهجرات الغربية وغيرها اليها٠ وقد بينا فى مكان آخر (٢) المواطن التى يقيم فيها احفاد هذه القبائل

١ـ ابن خلدون : ديوان العبر ٠٠ الجزء الثانى ، طبعة بولاق ، صفحات ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ٠

٢ـ المقريزى : البيان والاعراب عما نزل بارض مصر من الاعراب ٠ دار المعارف بمصر القاهرة ١٩١٦ صفحة ٢٠ ـ ٢١ ٠

فى مصر ، بحيث لم تعد هناك فروق جنسية واضحة بين مصرى ومصرى ·

وان كان بعض أفراد هذه القبائل نزحوا خارج حدود مصر أثناء سيطرة المماليك على الحكم فى مصر ، ورفضهم تسيد هؤلاء المماليك عليهم ، وقد عاد بعضهم الى مواطنهم الاصلية ، وبعضهم هاجر الى مناطق اخرى من الوطن العربى الكبير · ومن بقى منهم ، تدرجوا فى تكيفهم للبيئة الاجتماعية حتى استوعبتهم من جانب وتمثلوها هم من جانب أخر بحيث لم تعد توجد فروق اجتماعية أو سلالية بينهم وبين المصريين الاصليين نهائيا ، مثل غيرهم من الاجناس المختلفة التى ذابت فى الشعب المصرى ·

والخلاصة أن العرب هم أخر من بقى من الساميين ، بل خير مثال لهم ، ولغتهم العربية هى أوسع اللغات السامية وأرقاها · (٣) · وهى خير دليل يستدل به على أصالة العرب السامية ·

ويحدد الجغرافيون طرق ومنافذ الهجرة التى سلكتها القبائل العربية الى مختلف اجزاء الوطن العربى فى العصور التاريخية المتعاقبة ، لا سيما اذا اخذنا فى الاعتبار موقع شبه الجزيرة العربية فى جنوب غرب أسيا ، وملاصقتها للقارة الافريقية بواسطة صحراء سيناء · وقربها من الساحل الشرقى حيث مضيق باب المندب الذى لا يزيد اتساعه عن ١٦ ميلا · ومن ثم كانت الهجرات تتخذ طريقا شماليا شرقيا الى أرض العراق ، أو شماليا غربيا الى أرض الشام مثل هجرات الكنعانيين والنبطيين والقبائل الاسماعيلية وكانت هناك منافذ للهجرة العربية عن طريق سيناء متخذة مجموعة من الطرق الشمالية التى تصل بين بلاد الشام ووادى النيل ، أو تلك الطرق الوسطى التى كانت تربط بين بلاد النبط القديمة وشمال بلاد العرب ، أو تلك الطرق التى كانت تمر بها قوافل الحجاج الاتية من مصر وشمال افريقيا ، مارة بالمنطقة الجبلية فخليج العقبة الى مكة · وكذلك مجموعة الطرق الكائنة فى شرق أفريقيا والتى سلكتها السلالات العربية ، وتدفقت

---

٣ ـ دكتور زيدان عبد الباقى : اسس علم السكان ، مرجع سابق ، صفحة ٢٢٤

منها الى أفريقيا عابرة طريق باب المندب · وبعض هذه الهجرات اتجهت الى الجنوب ، حيث استقرت فى بلاد الصومال وما حولها · وهاجر بعضها مرة اخرى ـ شمالا الى سهول أريتريا (الحبشة) واستقر البعض الاخر فى الاقليم الواقع بين نهر النيل والبحر الاحمر · واتجه ـ كذلك ـ كثير من العناصر العربية نحو النيل مارين ببلاد النوبة الى أرض مصر · وبجوار هؤلاء اتجهت أفواج المهاجرين الى مصر مباشرة سالكين الصحراء الشرقية من الجنوب الى الشمال · (١)

هذا ويذهب بعض علماء الانثربولوجيا الى تاكيد وجود سمات بدنية متشابهة بين المصريين القدماء وبين قبائل (البجه) التى تنتمى الى القبائل العربية القديمة · ويستندون فى ذلك الى استعانة الفراعنة بالبجة في شئونهم الحربية ، حيث عاونت هذه القبائل «بيبى الاول» على اخضاع ثورة القبائل الكنعانية وكذلك على الهكسوس من مصر · ومن ثم كان امتزاج هناك بين الشعب المصرى وبين هذه القبائل ذات الاصل العربى ·

واتجه مؤشر الهجرة العربية الى منطقة جنوب وادى النيل ، فقد هاجرت افواج عديدة من اليمن الى بلاد أعالى النيل الازرق والعطبرة وبلاد اريتريا وسواحل السودان الشرقية ، الامر الذى كان له اثره الواضح في التكوين الاثنولوجى لسكان هذه المناطق التى تقع على الضفة المقابلة لمنطقة اليمن على جانبى البحرالاحمر والتى تعرف حاليابالقرن الافريقى·

على ان موجات المهاجرين الى افريقيا كانت في الغالب تسلك برزخ السويس ، ثم تتجه جنوبا الى السودان وشمالا الى مصر ، الامر الذى يؤكد الروابط الاثنولوجية بين سكان مصر والسودان من حيث الخصائص البدنية· واضحة لكل ذى عينين ـ ولا شك ـ بين ابناء صعيد مصر وشمال

---

١ ـ الاستاذ ناجى معروف : اصالة الحضارة العربية · الطبعة الثانية، مطبعة التضامن · بغداد ١٩٦٩ صفحات ٧٣ ـ ٧٥ ·

السودان · سواء في ذلك ماحدث في العصر الفرعونى القديم ، أو في العصر الرومانى ، أو في العهد الاسلامى · ومن هذه الهجرات اتجه بعضها الى شمال غرب افريقيا ، مارة بليبيا وتونس والجزائر الى المغرب وموريتانيا ومن هؤلاء من عبر مضيق جبل طارق الى الاندلس «أسبانيا» ·

والخلاصة ان سكان الدول العربية الاعضاء في جامعة الدول العربية في الوقت الحالى ينتمون ـ اذا أخذنا بوجهة نظر علماء الاجناس والانثرلوبوجيين والتاريخ ، واذا أخذنا قبل ذلك بما جاء في الكتب المقدسة ـ ينتمون الى جنس البحر الابيض المتوسط بصفة رئيسية ، وهم الذين استوطنوا شواطىء البحر الابيض المتوسط في آسيا وافريقيا ، وانتشروا في الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال افريقيا ··· ثم الى الجنس الزنجى الذى عاش في غرب ووسط وشرق افريقيا والى جنس الهندوس ، اى أنهم مزيج من مجموعة الاجناس القوقازية (بحر أبيض وهندوس) بصفة رئيسية ، ومن مجموعة الاجناس الزنجية (زنوج افريقيا) بصفة ثانوية · ومن ناحية اخرى فان كل الدراسات الاثنولوجية لهذه المنطقة تدل دلالة واضحة على وجود صلات وتفاعلات اثنولوجية وثقافية من آسيا وشبه الجزيرة العربية ووادى النيل وشمال افريقيا ، على نحو ما تعنى به المؤلفات المتخصصة في دراسة نشأت وتاريخ الحضارات لتلك المنطقة · وتتلخص آيات الاثار القديمة أو الاركيولوجية Archeologg في أن سكان وادى النيل وشمال افريقيا وجنوب وشرق البحر الابيض المتوسط ، وجنوب غربى آسيا قد امتزجوا منذ أقدم العصور امتزاجا يكاد يكون منهم وحدة اثنولوجية أصيلة ·

وبالاضافة الى ذلك فقد تعرضت هذه المنطقة لما تعرضت له مصر من هجرات سكانية وفدت اليها ، مع كل أنواع الغزو التى لا نهاية لها، والتى تعرضت له المنطقة العربية منذ عشرات القرون ، وعلى اتساع مساحة المنطقة العربية التى تمتد من المحيط الاطلسى غربا ، الى الخليج العربى (الفارسى) شرقا الى جبال طوروس والبحر المتوسط شمالا ، الى الصحراء الافريقية الكبرى وجبال القمر والمحيط الهندى جنوبا · ومما يلاحظ أن هؤلاء المهاجرين قد انخرطوا في السكان وامتزجوا بهم عن طريق المصاهرة · واصبحوا بحكم الميلاد عربا لهم نفس جنسية العرب ، وان كانت الدماء التى تجرى في عروقهم ليست عربية بالكامل ·

الهجرات من ـ والى ـ الوطن العربى :

هذا وهناك بعض الهجرات من ـ والى ـ الوطن العربى ، قديما وحديثا وسوف نشير الى أهمها فيما يلى :

أولا : هجرة الى الوطن العربى :

(أ) وتتمثل في هجرة ابراهيم وبنيه الى فلسطين · وهو ابراهيم بن آزر من مواليد بلدة «آرام» فيما بين الرافدين بمملكة بابل ، وذلك بنص التوراة (العهد القديم) وهو كتاب اليهود المقدس الذى كتبه الاحبار، بعد وفاة موس بسنين طويلة · وقد هبط بعضهم أرض (حاشان) وهى المنطقة المثلثة بين مدن الزقازيق ، والتل الكبير ، وبلبيس في محافظة الشرقية بأرض مصر أثناء غارة الهكسوس على مصر خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد ·

وعندما أجدبت ارض كنعان (فلسطين) وارتحل يعقوب وأبناؤه الاسباط وأولادهم الى مصر وعاشوا هناك ٢٣٠ سنة ثم طردهم فرعون مصر ، تسرب بعضهم بقيادة «يوشع» الى فلسطين · وعاشوا هناك الى ان تم تتويج الملك شاؤل ملكا على جزء من ارض كنعان سنة ١٠٣٠ ق· م· ثم انقسمت هذه الدولة الاستعمارية الى مملكتين : احداهما «اسرائيل» فى الشمال وعاصمتها «السامرة» ومملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها «أورشليم» ثم انهارت هاتان الدويلتان سنة ٩٧٠ ق·م ·· وتم تشتيت اليهود أو العبرانيين من أرض كنعان ، على أيدى الرومان · ومن هنا فقد انتشر اليهود ـ أو شردوا ـ في سائر أنحاء المنطقة العربية ، وكذلك في مختلف دول العالم، وان كانوا انعزلوا كسلالة ترفض التزاوج مع غيرها من السلالات غير السامية (١)

(ب) هجرة واستقلال اقليات كردية وأرمنية في شمال شرقى المنطقة العربية وكذلك أقليات بربرية في شمال افريقيا وجنوب السودان · وهذه الاقليات تمثل ١٢٪ من عدد السكان (٢) ، وقد احتضن العرب هذه الاقليات،

---

١ ـ دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية والمجتمع العربى ·
مرجع سابق صفحات ٢٨٠ ـ ٢٩٩ ·

2 - Social Fories in the Middle East , The Minorities in the Political Processes .

وهم يعاملون معاملة المواطنين العرب سواء بسواء ، باعتبارهم عربا من الاكراد أو الارمن أو البربر أو الزنوج ٠

(ج) هجرة بعض سكان جنوب أوربا الى الجزائر ، حيث تعرضت الجزائر لنوع شاذ من الاستعمار الاستيطاني بواسطة بعض سكان فرنسا منذ سنة ١٨٣٠ وقبل ذلك كانت فرنسا تحتل تونس من سنة ١٧٨١ ثم احتلت مراكش (المغرب) سنة ١٩١١ ولكنها اعتبرت تراب الجزائر امتدادا للتراب الفرنسى ، أو ما يطلق عليه تعبير «الفرنسية الجماعية» وهو اسلوب يرتكز على محاولة ادماج الشعوب المستعمرة في الكيان الفرنسى، وذلك عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ونظمهم ومنظماتهم الادارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على شعوب تلك المستعمرات من أجل استيعابها سكانيا بحيث يتحولون الى سكان فرنسيين قلبا وقالبا ٠ وقد بدأت عملية فرنسة الجزائر عندما عين المحامى اليهودى الفرنسى « أودلف كريمييه » فى منصب
Adolphe Cremieur
وزير العدل فى فرنسا واصدر قانونا سنة ١٨٧٠ يقضى بمنع في منصب وزير العدل في فرنسا وأصدر قانونا سنة ١٨٧٠ يقضى بمنح يهود الجزائر -بدون استثناء- الجنسية الفرنسية وما يتبعها من امتيازات لاحد لها ، تتيح لهم المساواة بلستعمرين الفرنسيين في كل شيء ٠ وقد عارض الرأى العام الجزائرى والفرنسى هذا القانون ٠ وثار الجزائريون ضد الوجود الفرنسى في الجزائر سنة ١٨٧١ (١) واضطرت الحكومة الفرنسية ازاء هذه الثورة ، وحفاظا على الثروات والاستثمارات الضخمة في الجزائر ، الى اصدار قانون في السادس والعشرين من يونيو ١٨٨٩ يقضى بمنح كل سكان الجزائر الجنسية الفرنسية ، ممن ترجع جنسياتهم الاصلية الى : العربية ، ثم الفرنسية ، ثم الايطالية ، ثم الايطالية ، واخيرا اتباع أتباع الجنسية اليهودية ممن لا جنسية لهم ٠ وبذلك أصبحت الجزائر ـ من الناحية القانونية ـ جزا من فرنسا ٠

هذا وقد زاد عدد الاوربيين في الجزائر من ١٥ الفا سنة ١٨٣٦ الى ١٨٠ الفا سنة ١٨٧٢ ، الى ٦٣٤ الفا سنة ١٩٠١ وخلال هذه الفترة

---

١ ـ دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية ٠٠٠ مرجع سابق ٠٠٠ ص ٣٠٧ ٠

التى بلغ تيار الهجرة فيها أشده كان أغلب المهاجرين من اللاجئين، وخاصة من سكان مقاطعتى الالزاس واللورين في اعقاب الحرب السبعينية، وكذلك أصحاب مزارع الكروم الذين تعرضت محاصيلهم للبوار فترة طويلة لسوء الاحوال الجوية وانتشار الافات ۰ وقد وجد هؤلاء المهاجرون الى الجزائر من سلطات الاحتلال هناك كل عون وتيسير ، حيث وزعت عليهم املاك الدوله وجانب كبير من الاوقاف الاسلامية ، وكذلك أملاك المجاهدين الجزائريين ۰ وكانت تبلغ حوالى نصف مليون هكتار ، وايضا الاراضى المشاع التى تم تحديدها بالقانون الذى صدر في يوليو ١٨٧٣ وتبلغ ثلاثة أرباع مليون هكتار ۰

وذلك بالاضافة الى الاراضى التى تم سلبها بالبطش والارهاب من أصحابها العرب ، والتى تم توزيعها بواقع ٢٠٠ هكتار بالمجان على كل أسرة فرنسية مستوطنة في الجزائر ۰۰۰ الخ وقد وصل عدد المهاجرين الفرنسيين الذين استوطنوا الجزائر الى ١/١٠٩/٠٠٠ نسمة سنة ١٩٥٣ وبذلك صارت اجود الاراضى الجزائرية فى حوزة الاجانب ۰ ولم يبق مع السكان الجزائريين سوى الاراضى البور الصحارى القاحلة ، حتى أنه في أوائل الخمسينات بلغت ملكية المستوطنين الفرنسيين في الجزائر نحو ٢٨٪ (حوالى ٣ مليون هكتار) من مساحة الاراضى الزراعية (حوالى ١١ مليون هكتار) وكان عددهم لا يتجاوز ١٨٪ من مجموع السكان ۰

وفي مراكش بلغ عدد السكان الاجانب حوالى ٣٥٠ الف نسمة منهم حوالى ٣١/٠٠٠ فرنسى من مجموع السكان الذين كان يبلغ عددهم ٩ مليون مغربى سنة ١٩٥١ بينما لم يزد عدد الاجانب في تونس عن حوالى ٣٠٠ الف أجنبنى من مجموع السكان الذى كان يبلغ يومئذ ٤ مليون نسمة ، بمعنى أن عدد الاجانب يمثل ٧٪ من مجموع السكان ۰ وكان نصفهم تقريبا يومئذ من الفرنسيين والنصف الأخر من الايطاليين ۰

هذا وقد أدى تحرر ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، وحصول هذه الدول على استقلالها ، الى رحيل الكثيرين من هؤلاء المهاجرين الى مواطنهم الاصلية ، على حين أن المهاجرين الذين اغتصبوا قطعة غالية من الوطن

العربى ، وأنشأوا عليها لهم دولة ، وهم المهاجرون اليهود الى فلسطين في اوائل القرن العشرين ، ولم يرحلوا بعد ـ كما سترى ـ في الفقرة التالية :

(د) الهجرة اليهودية الى فلسطين ، أو بالاحرى الهجرة الاستيطانية الى فلسطين · وهى حركة صهيونية استعمارية ، استغلت صلة اليهود القديمة بدولة فلسطين التى تحدثنا عنها في الفقرة (أ) وهى دويلة صغيرة أنشأتها أقلية عبرانية على أرض عربية كنعانية استمرت من سنة ١٠٣٠ ق· م· الى سنة ٩٧٠ ق· م· ثم انهارت وزالت وطرد العبرانيون بواسطة الدولة الرومانية من الاراضى الكنعانية الى غير رجعة ·

غير أنه بعد ١٨ قرنا من الزمان انعشت الحركة الصهيونية أمانى اليهود الروحية في العودة الى ارض فلسطين واحتلالها من جديد · فقد انتهز المحامى اليهودى أدولف كريمييه قضية اختفاء الاب الفرنسكانى «توما»من ديره في دمشق وما أشيع من أن اليهود ذبحوه ليعجنوا بدمه خبز عيد الفصح ، والفتنة التى ترتبت على تلك الاشاعة ، وتم خلالها الانتقام من اليهود ··· انتهز هذا المحامى تلك الفرصة ورفع قضية ضد محمد على والى مصر يومئذ وساعدته أوربا · واضطر محمد على الى دفع تعويض له·وحضر هذا المحامى الىمصر ومعه اللورداليهودى الانجليزى «مونتفيورى» والمستشرقاليهودى الفرنسى «سالمون مونك» وتسلموا التعويض فيالقاهرة · وذهبوا الى فلسطين وأسسوا هناك أول مستعمرة يهودية في فلسطين تحت اسم «مقوية اسرائيل» أو اسرائيل) في جنوب شرق يافا ·

ومنذ ذلك الحين بدأت الهجرات اليهودية غير المشروعة وغير المعلنة من شرق أوربا بتمويل من يهود غرب أوربا بقصد استيطان فلسطين · واثناء وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى حصل اليهود على «وعد بالفور» بتمكينهم من انشاء وطن قومى لهم في فلسطين · وبذلك بدأت المؤسسات اليهودية ، تنتشر فى فلسطين الى ان اصبحت دولة داخل الدولة، ومن هنا بحثوا عن اعتراف قانونى بوضعهم فى فلسطين ، وجاهدوا من اجل ذلك وساعدتهم الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى الى أن صدر قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٨١ فى ٢٦ ـ ١١ ـ ١٩٤٧ بالتوصية بتقسيم فلسطين على أساس ٥٦٪ من اراضيها لليهود و٤٢٪

للفلسطينيين ، وجعل القدس كيانا منفصلا يخضعلنظام دولى خاص ،بالرغم من أن عدد السكان اليهود يومئذ كان ٤٦٨ ألف يهودىوالسكان الفلسطينيين نحو ١ر٤٠٠ر٠٠٠ نسمة ٠

هذا وقدتطور عدد المهاجرين اليهود الى أرض فلسطين ــ ولا يزال طبقا للجدول التالى ٠

جدول رقم ـ ١

بتطور عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين

السنة	عدد اليهود	السنة	عدد اليهود
١٨٨٢	٢٤/٠٠٠	١٩٦١	١/٩٣٢/٠٠٠
١٩١٤	٨٥/٠٠٠	١٩٦٢	٢/٣٤٢/٦٠٠
١٩٤٠	٤٦٧/٥٠٠	١٩٦٧	٢/٣٨٣/٦٠٠
١٩٤٨	٦٤٩/٦٠٠	١٩٦٩	٢/٩١٩/٠٠٠
١٩٥١	١/٤٠٤/٠٠٠	١٩٧٥	٣/٥٠٠/٠٠٠

* * *

المرجع : جدول رقم ٢٩ ص ٢٩٣ من كتاب اسس علم السكان

وبصرف النظر عن شرعية أو عدم شرعية قيام دولة اسرائيل ، وان كنا نؤكد عدم شرعيتها ، فان اليهود الذين تم تهجيرهم الى فلسطين ، لا يرجعون الى أصل سام بالمرة ، وانما هم من شرق أوروبا ، أى من أصل غير سام، فهم من أحفاد الخزر ، وهو شعب عاش بالقرب من البحر الاسود · ودخل جملة فى الديانة اليهودية فى القرنين السابع والثامن الميلاديين ، وعلى رأسهم ملكهم «بولان» ملك مملكة الخزر فى روسيا الشرقية الجنوبية · وهم الذين يطلق عليهم طائفة الاشكينار الذين يتكلمون لغة « البيدش » ولو أخذنا بمنطق الصهيونية فى عودة الاحفاد الى الارض التى اغتصبها الاجداد لخرج الامريكيون من الولايات المتحدة الامريكية تاركين اياها للهنود الحمر ، ولخرج الاسبان من بلادهم تاركين اياها للعرب ··· الخ· الامر الذى يتطلب ضرورة اعادة النظر فى توزيع دول العالم المعاصرة ، وهذا ضرب من المستحيل (١) · أما اليهود الذين عاشوا فى فلسطين قبل الميلاد وهاجروا الى اوروبا ، فانهم يعيشون هناك حتى الان ، ويرفضون العودة الى فلسطين لاستقرار حياتهم هناك وامتلائها بالرغد والرفاهية ،وان كان تهجير يهود أوروبا الشرقية الى فلسطين يتم بأموالهم · وأكدت تلك الحقيقة مقالات الصحفى الفرنسى (ألبير لورندر) سنة ١٩٢٩ حيث أكد أن يهود الغربية يشجعون يهود أوروبا الشرقية على الهجرة والاقامة فى فلسطين ، بينما يرفضون هم الاقامة فى فلسطين ·

د ـ هجرة الاسيويين الى دول وامارات الخليج العربى (الفارسى) حيث هاجر كثير من الهنود والباكستانيين والايرانيين ··· الى دول وامارات الخليج العربى وهم يشكلون كثافة تستوجب الانتباه ·

ثانيا : هجرة من الوطن العربى :

وأهم موجات هذه الهجرة ، هى هجرة الشوام الى الامريكتين والجزائر الى فرنسا وذلك على النحو التالى :

---

١٥ ـ دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية ··· مرجع سابق ، صفحات ٣٠٢ ـ ٣٣٣

١ ـ الهجرة السورية اللبنانية :

والتى بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وكان اتجاهها الغالب فى البداية الى مصر ، ثم يممت وجهها شطر الامريكيتين ، ٠٠ حيث كانت تتاح لهم فرصة ممارسة حرفة التجارة التى يتقنها أهم الشام ٠ وهناك سرعان ما حققوا نجاحا كبيرا ، وكونوا ثروات ضخمة ظهرت آياتها فى شكل مساعدات مالية ضخمة لذويهم فى الوطن الام ٠

وقد أدى نجاح الافواج الاولى من المهاجرين الى ارتفاع معدل الهجرة فى أوائل القرن العشرين ، حيث يهاجر سنويا حوالى ١٥٠٠ مهاجر عربى ٠ ويشكل اللبنانيون ٦٦٪ منهم والسوريون ٣٤٪ وكانت غالبية المهاجرين من لبنان أو من سوريا من المسيحيين ٠ وذلك لاتصالهم بمراكز الثقافة الغربية وانخراط معظمهم فى المدارس الاجنبية ، لا سيما وأن معرفة اللغات الاجنبية من أهم العوامل المشجعة على الهجرة والسياحة الدولية ٠

هذا وكانت غالبية المهاجرين العرب تقصد امريكا الجنوبية وخاصة البرازيل والارجنتين ٠ وتعتبر مدينة «برازيليا» من اكبر مراكز المهاجرين العرب فى الخارج ، بالاضافة الى مدينة بوسطن ومدينة نيويورك ثم المكسيك، حيث يتمركز المهاجرون العرب هناك ٠ وقد انتخب احد العرب عضوا فى مجلس الشيوخ الامريكى (الكونجرس) ٠٠

ومنذ أوائل النصف الثانى من القرن العشرين بدأ بعض المصريين وغالبيتهم ٠ من المسيحيين المتعلمين على مستوى الاخصائيين (فى الطب والهندسة والزراعة ٠٠) فى الهجرة الى القارة الامريكية واستراليا بحثا عن المال والشهرة والرفاهية ، بصورة تكاد تستنزف كل الخبرات العربية الممتازة ، بعد أن بدأ المسلمون ينافسونهم فى هذا المجال ٠

٢ ـ هجرة العرب الافارقة الى أوروبا :

وقد ظهر هذا الاتجاه نتيجة لضيق مجالات العمل والاضطهاد السياسى وعدم الاستمتاع بالحرية ٠ فقد هاجر كثير من المواطنين التوانسة والجزائريين والمغاربة والليبيين الى فرنسا وايطاليا واليونان ٠٠٠ وقد ارتفع معدل هذه الهجرة بشكل واضح اثناء الحرب العالمية الاولى ، ثم عاد

وانخفض خلال الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٥) ثم عاد وارتفع اثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها ٠

والى الان توجد فى فرنسا جالية جزائرية ضخمة تعمل فى الصناعة الفرنسية وتليها الجالية التونسية ثم المغربية ثم الليبية ٠٠٠ الخ ٠

وذلك هو الشكل العام لحالة السكان فى الوطن العربى ٠٠٠ وهم جميعا ـ كما قدمنا ـ يشكلون مزيجا متألفا من مجموعة الاجناس القوقازية والزنجية صبغتهم الثقافة العربية الاسلامية بصبغة موحدة ، بحيث أصبحوا وكانهم سلالة واحدة من جنس واحد ٠ وذلك باستثناء احفاد شعث الخزر الذين زرعتهم الصهيونية فى ارض فلسطين ، ليصبحوا مجموعة سكانية شاذة وسط السكان العرب ٠ ولعل العرب من أحفاد صلاح الدين يعملون كما عمل جدهم على طردهم ، كما طرد الصليبيين من قبل ٠

اجمالى سكان العالم العربى :

والمقصود بالعالم العربى هنا ، الدول الاعضاء فى الجامعة العربية ، بما فيها الامارات العربية والسلطنات وفلسطين ٠

هذا وطبقا لاخر احصاء سنة ١٩٧٥ ـ ومع كل التحفظات المترتبة على عدم دقة الاحصاءات فى بعض الدول العربية ـ فان سكان العالم العربى سنة ١٩٧٥ بلغ عددهم ١٤٤ر٣١٨ر٠٠٠ نسمة وتوزيعهم على الدول العربيه[٩] كما يلى :

جدول رقم ـ ٢ ـ

بعدد سكان العالم العربى طبقا لتقديرات ١٩٧٥

١٦بالنسبة لبيانات السكان سنة ١٩٧٣ فهى من الكتاب الاحصائى السنوى للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ١٩٥٢ ـ ١٩٧٣ القاهرة اكتوبر ١٩٧٤ صفحات ٢٧٥ ـ٢٧٧ وبالنسبة لبقية الجدول فهى من جريدة الاهرام (خريطة العالم العربى) فى ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٧٦ ٠

الدولة	عدد السكان بالالف		المساحة بالميل المربع	تاريخ الانضمام للجامعة العربية	تاريخ الانضمام للامم المتحدة
	سنة ١٩٧٣	سنة ١٩٧٥			
١ ـ الامارات العربية	٢٠٣	٣٥٠	٣٧ر٠٠٠	١٩٧١/١٢/٦	١٩٧١/١٢/٩
٢ ـ الاردن	٢ر٤٦٧	٢ر٦٦٠	٦٣ر٨٣٢	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٥٥/١٢/١٤
٣ ـ البحرين	٢٢٤	٢١٦	٢٥٦	١٩٧١/٩/١١	١٩٧١/٩/١١
٤ ـ تونس	٥ر٠٢٧	٥ر٦٤١	٦٣ر٣٧٩	١٩٥٨/٩/١	١٩٥٨/٩/١
٥ ـ الجزائر	١٥ر٢٧٠	١٦ر٢٧٥	٨٦٩ر٥٩٣	١٩٦٢/٨/١٦	١٩٦٢/١٠/٨
٦ ـ السعودية	٨ر١٩٩	٨ر٦٩٧	٨٦٥ر٠٠٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
٧ ـ السودان	١٦ر٤٨٩	١٦ر٤٤٩	٩٦٧ر٥٠٠	١٩٥٦/١/١٩	١٩٥٦/١١/١٢
٨ ـ سوريا	٦ر٦٧٨	٧ر١٧٤	٧ر٤٩٨	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
١٠ ـ الصومال	٢ر٩٤١	٢ر٩٦٥	٢٤٦ر٣٠٠	١٩٧٤/٢/١٤	١٩٦٠/٩/٢٠
١١ ـ العراق	١٠ر٠٧٤	١٠ر٧٦٥	١٧١ر٢٦٧	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٥٥/١٢/٢١
١٢ ـ عمان	٠ر٦٩٩	٧٥٠	٨٢٪٠٠٠	١٩٧١/٩/٢٩	
١٣ ـ فلسطين المحتلة	ـ	٣ر٢٤٩	٧ر٩٩٢		
١٤ ـ قطر	٨٤	١٨٠	٤ر٤٠٠	١٩٧١/٩/١١	١٩٧١/٩/٢١
١٥ ـ الكويت	٩١٤	١ر٠٠٠	٩ر٣٧٥	١٩٦١ ٧ ٢٠	١٩٦٣/٥/١٤
١٦ ـ لبنان	٢ر٩٦٣	٣ر١٠٠٠	٣ر٩٥٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
١٧ ـ ليبيا	٢ر٠٩٤	٢ر٢٥٩	٦٧٥ر٠٠٠	١٩٥٣/٣/٢٨	١٩٥٥/٢/١٤
١٨ ـ مصر	٣٤ر٨٣٩	٣٧ر٠٠٠	٣٨٦ر٩٠٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
١٩ ـ المغرب	١٥ر٨٢٥	١٦ر٣٠٩	١٧٧ر١١٧	١٩٥٨/٩/١	١٩٥٦/١١/١٢
٢٠ موريتانيا	١ر٢٢٧	١ر٢١٨	٣٩٨ر٠٠٠	١٩٧٣/١١/٢٦	١٩٦١/١٠/٢٧
٢١ اليمن الجنوبي	١ر٥١٥	١ر٥٩٠	١١١ر٠٧٤	١٩٦٧/١٢/١٢	١٩٦٧/١٢/١٤
٢٢ ـ اليمن الشمالي	٦ر٠٦٢	٦ر٤٧١	٧٧ر٢٠٠	١٩٤٥/٥/٥	١٩٤٧/٩/٣٠
الجملة	١٣٣ر٧٩٤	١٤٤ر٣١٨			

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد السكان فى العالم العربى طبقا لتقديرات سنة ١٩٧٥ حوالى ١٤٤ر٣١٨ر٠٠٠ نسمة منهم ٩٨ر١١٦ر٠٠٠ نسمة فى أفريقيا و ٤٦ر٢٠٢ر٠٠٠ نسمة فى آسيا ٠

ومن هذه الارقام يتضح أن اكثر من ثلثى السكان فى العالم العربى يعيشون فى الدول العربية من القارة الافريقية ٠ وأن اقل من ثلث سكان العالم العربى يقيمون فى الدول العربية الكائنة فى القارة الاسيوية ٠

المسلمون والدراسة العلمية للسكان :

لا تزال الدراسات العلمية للسكان فى العالم العربى تحبو على ركبتيها ولا يرجع ذلك الى عدم وجود المتخصصين فى علم السكان ، وانما يرجع الى عدم وجود المادة الخام السكانية ، والتى يستطيع المتخصصون من علم السكان استخراج مؤشرات سكانية تكون لها قيمتها وأهميتها فى التخطيط الاقتصادى والاجتماعى ٠ ذلك أنه اذا استثنينا دولة أو اثنين من الدول العربية تعمل على أن تكون احصاءاتها السكانية ذات مستوى علمى ، فان الدول العربية لا تبذل جهدا يستحق الذكر من أجل الوقوف على التركيب السكانى لديها ٠

هذا ومن أهم الجوانب التى يهتم بها علم السكان ، والتى تؤكد وجهة النظر هذه ما يلى :

اولا : تركيب السكان من حيث النوع : Sex Camposition

ويقصد بذلك توزيع السكان بين ذكور واناث ٠ والوضع الطبيعى أن يكون عدد الذكور متوازنا مع عدد الاناث ، غير أن بعض العوامل قد تؤثر على هذا التوازن ، فيزيد عدد الذكور فى مكان ما ، وبالتالى يزيد عدد الاناث فى مكان آخر نتيجة للهجرات الداخلية وغيرها من العوامل ٠

وترجع أهمية الوقوف على أعداد الذكور والاناث فى فئات لا يزيد عن خمس سنوات ـ مثلا ـ بالنسبة للباحثين والمخططين الى :

ـ اذا كانت نسبة الذكور أعلى من الاناث لا سيما بين الفئات المتناسبة من الشباب ، فى مجتمعات ـ مثل المجتمع العربى ـ تأخذ بتعدد الزوجات، ويخضع الطلاق فيه لحرية الفرد غير الملتزمة ـ فى بعض الاحيان ـ بالدين • فقد يؤدى ذلك الى عدم توافر الفرص المناسبة للزواج أمام الراغبين فيه • ومن ثم ينتشر سوء التوافق بين الازدواج • غير أنه لزيادة الذكور فى المجتمعات المحلية الريفية فائدة اخرى وهى توافر القوى العاملة للاعمال الزراعية •

ـ اذا كانت نسبة الاناث أعلى من نسبة الذكور كما حدث فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، بين فتيات ألمانيا وإيطاليا بالنسبة لجنود الحلفاء ، فان ذلك قد يفرض (العزوبية) على بعض الفتيات ، الامر الذى قد يدفع البعض منهن الى الانحراف الاخلاقى •

ـ تتأثر كل من الاحوال الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع ، نتيجة لاختلاف نسبة الاعمار ، فمن المتوقع أن تكون نسبة الشباب الى بقية السكان سنة ٢٠٠٠ بنحو ٥٠٪ ومعنى ذلك توقع معدل مرتفع جدا من المواليد ، مما يؤثر على مستوى المعيشة للسكان •

ثانيا : تركيب السكان من ناحية السن : Age Composition

من المؤشرات الاحصائية الهامة للتخطيط والبحوث الاجتماعية دراسة السكان من مختلف الاعمار ، مع تحديد النسب المئوية لكل فئة من فئات السن • ولعل افضل وسيلة لدراسة تركيب السكان من حيث اعمارهم وأنواعهم هى تصنيف كل من الذكور والاناث على أساس فترات زمنية طول كل منها خمس سنوات مثلا ـ ويطلق على الرسم البيانى الذى يوضح هذا التصنيف اسم « الاهرام السكانى Population Pyramid وفي العادة يأخذ هذا الرسم شكل الاهرام • ويكون من حيث القاعدة العريضة التى تضيق تدريجيا من قاعدته الى اعلى قمته • ويكون الاهرام السكانى في وضعه الطبيعى عند تساوى عدد الذكور مع عدد الاناث من جانب • وكذلك تساوى ماتحت الاربعين مع مافوق الاربعين من العمر •

ثالثا : تركيب السكان من الناحية الزواجية Marital Composition

ويعنى بذلك توزيع السكان الى متزوجين وعزب ومطلقين وارامل ، حيث تتفاوت نسب هذه الفئات بين مجتمع واخر · ولا ريب أن معدل المواليد على سبيل المثال يتأثر الى حد كبير بنسب المتزوجات من الفئة ١٦ الى أقل من ٣٠ سنة ، بالاضافة الى العادات والاعراف والتقاليد · وقد اهتم علماء السكان بدراسة مختلف تلك النواحى لما لها من آثار على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى اى مجتمع ·

رابعا : تركيب السكان من ريفيين وحضريين Rural - urban Conposition

ومن الظواهر الاجتماعية الاخذة فى الانتشار والاتساع تزايد نسبة السكان فى الحضر على حساب نسبة سكان الريف والبدو · وهذه الزيادة من العوامل السكانية ذات التأثير الحضرى المباشر على الحضرية Fertitity لاختلاف نشاط وثقافة السكان فى كل من الريف والحضر (١) ·

خامسا : مدى انتشار وسائل تنظيم الاسرة بين السكان :

ووسائل تنظيم الاسرة تنتشر فى الدول المتقدمة ، ونحن مع الاسلام فى عدم الاخذ بها الا من الحالات التى لا تتعارض مع الدين ·

---

1 - Hawley , A. H. : World Urbanization . Trends and prospects Population . The Vital Revlution. Ronald Freedom, ed. 1946 , pp. 70-83 .

سادسا : توزيع السكان من حيث طبيعة مهنهم :

والاعمال والوظائف والمهن والحرف التى يعمل فيها السكان من الضروى الوقوف على أعدادها أو نسبها حتى يمكن التخطيط للتعليم والتدريب ، لكى يستطيع المجتمع الاكتفاء الذاتى مهنيا ووظيفيا ·

وهناك بجوار ذلك نواح اخرى تحتاج الى الدراسة :

١ ـ التكوين العرقى أو السلالى للمجتمعات مثل المجتمع السودانى الذى يتكون من المسلمين وغير المتدينين ، والمجتمع العراقى الذى يتكون من العرب والاكراد ··· الخ ·

٢ ـ اختلاف العقائد الدينية ، ومدى خضوع السكان أو عدم خضوعهم للتعاليم الدينية ··· الخ ·

٢ ـ اختلاف المستوى التعليمى ، حيث يسعى المتعلم ـ برغم قدرته على الانفاق والتربية ـ الى تنظيم انجابه ، بينما غير المتعلم ـ برغم عدم قدرته على الانفاق أو التربية ـ يفرط فى الانجاب ·

تلك هى اهم العوامل التى تساعد المخططين على دراسة البناءالسكانى لاى مجتمع من المجتمعات على توفير احتياجاته ·

خاتمة :

لقد تناولنا فى هذه الدراسة الموجزة النواحى الاثنولوجية المتعلقة بأصول الاجناس ومهادها وتفرعها وانشعابها بالنسبة للسكان العرب ، وما يتصل بذلك من موجات الهجرات · وربطنا بينها وبين النواحى الاجتماعية والانثربولوجية والثقافية والجغرافية وبرهنا على وحدة الاصل الجنسى لكل السكان العرب ، ومن ثم فهم أخوة من الناحية السلالية ، كما هم أخوة من الناحية الوثنية · وهذا التشابه هو الركيزة الاساسية للتكامل السكانى·

توصيات مقترحة

١ ـ أما وقد اكدت الاحصاءات والارقام ـ على سبيل المثال ـ اتساع رقعة الارض الصالحة للزراعة فى السودان والجزائر والمغرب وسوريا والعراق .. مع تخلخل سكانى واضح فى هذه المجتمعات ، ومن ثم تترك بورا ... ووجود سكان لا يجدون الارض الصالحة للزراعة ليستثمروها فى مجتمعات اخرى مثل مصر ، فمن الضرورى ايجاد وسيلة لاعادة توزيع السكان ـ طبقا لنظام اسلامى ـ ما دام الاصل السلالى واحد بين سكان هذه المجتمعات فضلا عن وحدة الدين . وعلى أن يتم ذلك بعيدا عن العقائد السياسية المتضاربة .

٢ ـ ضرورة الاهتمام بالاحصاءات السكانية لامكان الوقوف على جوانب التركيب السكانى للمسلمين . والعمل على ابعاد عوامل الضعف عنه . وعلى أن يتم التعداد على فترات محدد لا تزيد عن عشر سنوات .